الجزء ١٠ المعلة السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك ــ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٨ ــ شوال سنة ١٣٢٦

خطبة رنان لدى الاكروبول

وهي الخطبة التي تحدّاها صاحب الجامعة في كتابته خطبته لدى شلالات نياغرا التي نُشرت في المجلة في العدد الثامن لهذه السنة

ان (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها في الجزء الثامن لهذه السنة انما هي تقليد لخطبة الفيلسوف ارنست رنان لدى تمثال (بالاس آثينا) الاهة الحكمة المنصوب في الاكروبول في آثينا عاصمة اليونان . والاكروبول اكمة مشرفة على آثينا وفيها هيكل آلهة اليونانيين القدماء ومجموع عجائب فن النقش وبدائعه . ولما كانت حرب الاستقلال اليونانية بين اليونان والدولة العثمانية قال اليونان انهم سيقيمون مدافعهم في الاكروبول ويحاربون منها الجيش العثماني ليضطروه الى اطلاق مدافعه على الاكروبول وهدمه وذلك نكاية لعلماء اوروبا

وادبائها المولعين بجمال فنون الاكروبول وصنائعه البديعة اذا كانوا لا يحملون حكوماتهم على ردّ الجيش العثماني عن آثينا . وقد كتب رنان خطبته هذه (ويسمونها صَلاته) يوم زار تمثال آثينا الاهة الحكمة في الاكروبول المذكور . ويعدّ كتبة الفرنسويين هذه الخطبة أبدع وأجمل ما خرج من قلمه بل أجمل ما خرج من قلم كاتب فرنسوي . وقال الكاتب الفرنسوي المشهور المسيو اناتول فرانس الذي هو اليوم اكتب كتاب فرنسا ان (نحلة الحكمة لم تلقِ عسلها الفاخر اللذيذ في فم أحد بعد وفاة افلاطون غير فم رنان) يعني انه لم يكتب كاتب غير رنان كلاماً عذباً لذيذاً ككلام افلاطون منذ وفاته حتى اليوم . وقد نشرنا هذه الخطبة في الجامعة يوم كانت في مصر واستغرق تعريب معانيها الدقيقة الصعبة ومغازيها الفلسفية ومغامزها الباطنية يوماً كاملاً معانها لا تجاوز ٤ صفحات . وقد رأينا اعادة نشرها الآن لقرائنا الافاضل في اميركا على الخصوص مناسبةً للخطبة لدى الشلالات التي نشرناها في الجزء السابق ولان تسعة اعشار قرآء الجامعة في اميركا لم يطلعوا عليها حين نُشرت في مصر . وهذا تعريبها

صلاة رنان على الاكروبول

الى الالاهة بالاس اثينا الاهة العقل والحكمة عند قدماء اليونان

„ يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي . يا ايتها الالاهة التي يُتقرَّب اليها بالحكمة والعقل . يا من هيكلها بمثابة مثالٍ ابدي للاخلاص والمعرفة . لقد ابطأتُ في الوصول الى هيكل اسرارك . وانني جئت اليكِ بضمير متألم . ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها . انكِ كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكير والجهد الشديد

,,لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزقاوين في بلاد السيميريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطئ بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيراً كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبية . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كأنها من اللبن . والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء فتحجب وجه السماء

,, وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هؤلاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن ,, خرونوس '' الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هياكل هؤلاء الكهنة فهي أعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهياكل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست فنّك الالهي بعد . فضلاً عن انني كنت اجد ,, الله '' فيها . وكانوا يتغنون فيها باغاني ما زلت اذكر بعضها . منها ,, السلام عليكِ يا نجمة البحر .. يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع '' او ,, ياوردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح '' — انظري ايتها الالاهة . انني حينما اتذكر هذه الاغاني يتفطر قلبي حنواً واكاد اجحدك . فصفحاً عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه السحراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

,, ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض . فان كل استقامة ذهبت منها . وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات مؤلفة من اناس احرار . بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل . جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم . وكذلك مدعون ثقلاء يسمون ,, خفيفي الرأس ،، كل من يخدمك . وقد تألف من كل الصفائر والدنايا عصبة طوّقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس . حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك . هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عاماً وحطم هيكلك بالمطارق ليحمله الى ,, طوله ،، ؟ ان جميع الذين يخدمونك اليوم يفعلون فعله ... فلقد كتبتُ بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس . وقد صاروا يكتبون لي ويسألونني ماذا اقصد بذلك . فكأنهم لا يرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمرًا ماديًا . ولكن يا ايتها السماء . اسألكِ لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة . أليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حيًا في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

,, او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السوريين والذي جاء الى هنا في عهد ديونيزودوروس فطاف في ساحات هياكلك دون ان يفهمك وقرأ النقوش على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحًا مقامًا ,, لاله مجهول ،، — الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم . ولقد انقضى ألف سنة يا ايتها الحقيقة وهم يسمونك وثنًا . لقد انقضى ألف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه . زهرة ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نفير الفكر البشري . وكان يُعدُّ جانيًا

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

كل من يحبك يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي . حتى اليوم وقد أفرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة أصبحوا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غنى عنها

,,انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة . انت وحدك قوية يا الاهة النصر . انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها . فان لك من ,,المريخ'' كل ما يلزمك من القوة . ولكن لا غرض لك غير السلام . فيا واضعة الشرائع العادلة . يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خير هو آت من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء — علمينا كيف نستخرج ,, الماس '' من الجموع الجاهلة . ويا عناية جوبتير . يا امّ كل الصنائع . يا حامية العمل يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها . يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى . اجعلينا روحيين نفساً وجسداً . — يا ايتها الالاهة . لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اخترتِ الاقامة بين الاثينوبيين لانهم اكثر حكمة . فانزل ابوكِ على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأةً لهم على اجلالهم ابنته . فصار الرودسيون اغنياء . اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء أي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

,, ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الا اذا عاد اليكِ ونبذ صلاته البربرية . فلتركض اليكِ ولنأتِ افواجاً افواجاً . يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي أخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وترد تلك السرقة معتذرةً بقولها ,, عفواً ايتها الالاهة ما أخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل '' وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية

ليزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

„ انني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قوياً بك فانني اقاوم كل نصح يغريني . اقاوم ارتيابي الذي يجعلني اشك في الشعب . اقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً . اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كلما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة . فيا مثال الكمال الذي يبثه صحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى انني افضل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه . فاعلمي انني ساقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك . سانسى كل نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك . بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرت) متعصباً متحيزاً اكراماً لك . فلا احب شيئاً غيرك . وهوذا انني ساتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها . ساكون ظالماً لكل شيء لا يختص بك . ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك . سامدح سكان ارضك واحب كل فيهم شيء حتى عيوبهم . ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفنون هناك على رخام نقوشك بعيدهم الابدي . ساسلخ من قلبي كل شيء لا يكون عقلاً وصناعة مجردة . ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني . فساعديني يا ايتها الالاهة وانقذيني

„ ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي . فانني ساضطر الى تغيير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي . فساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي . ذلك لانني أبطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي . ان فلسفة فاسده جعلتني اعتقد ان الخير والشر .

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

واللذة والالم • والجميل والدميم • والعقل والجنون — كلها تتحول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مطاوي عنق الحمامة • وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحب الانسان شيئاً مطلقاً ولا يبغض شيئاً مطلقاً • فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر • اذاً فكل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطأوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح • فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا • — هذه هي المسبّة التي تجول في فكري الفاسد • ان الاشياء اذا كانت مثلك صحيحة سليمة من كل جهة فانها تدعو الى الملل والسآمة

„ انك تضحكين من سذاجتي • ولكن قلت واقول • الملل والسآمة • فان عقولنا فسدت وما الحيلة • بل انني اقول اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي • عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان • لان في نشوة (التراس) وجليد (الستريون) شيئاً من الغزل لا يوجد في سواها • وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة • ان العالم اكبر مما تظنين • ولو انك شاهدتِ ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحد • ورأسك حينئذ يتسع اكثر فيسع ضروباً من الجمال مختلفة

„وانتِ الحقيقة • انتِ كاملة نقية لا لطخة على رخامك • ولكن هيكل هاجيا صوفيا في بيزانس (١) بآجره وجدرانه يُحدث في النفس انفعالاً الهياً مثلك • فانه رمز الى قبة السماء • ومع ذلك فانه سينهدم • ولو كان بيتك واسعاً

(١) هو اليوم جامع آجيا صوفيا الاسانة

حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضاً

ان نهراً واسعاً يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة . فيا ايتها الهاوية .... ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية . واحلام كل الحكماء انما فيها شيء من الحقيقة وكل شيء في هذه الارض ليس الا رمزاً وحلماً . فان الالهة تمر وتذهب كالناس . وليس يحسن ان تبقى ابدية . والايمان الذي كان للانسان يجب ان لا يكون له قيداً . فانه متى كفّنه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الآلهة الميتة يكون قد وفاه حقه ''

سيستبردون بالهليوم

كما يستدفئون الآن بالنار والبخار

(اختراع جديد)

للطبيعة تأثير على طبائع البشر بدليل ما نراه من اختلاف السلالات البشرية باختلاف الاقاليم التي تعيش فيها . ولكن كلما ارتقى الجنس البشري امكنه ان يؤثر على الطبيعة ويكيفها حسب طبعه . ففي المناطق الباردة جداً يستطيع الانسان ان يعيش دافئاً كما لو كان في منطقة معتدلة دافئة وذلك بما استنبطه من وسائل التدفئة المختلفة التي يعرفها كل فرد من سكان البلاد الشمالية . وكما تغلب الانسان على البرد وتحاماه يفتكر الآن بالتغلب على الحر الشديد وتحاميه حتى يستطيع ان يعيش في كل اقليم وفي أي فصل على درجة واحدة من الحرارة المعتدلة الملائمة للبدن البشري

افادت الانباء العلمية الاخيرة ان الكيماوي الهولاندي الاستاذ كامرلين أونس من ليدن توفق الى تحويل الغاز المسمى هليوم Helium الى سائل بواسطة الضغط